جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

المادة: نظرية الأجناس الأدبية

الأستاذة: هنية جوادي

المستوى ثانية ليسانس دراسات نقدية

المحاضرة الثامنة:

فن المنامات

منامات الوهراني أنموذجا

تمهيد:

عرف المغرب الأوسط في عهد الدولة الموحدة نهضة حضارية، شملت كل مناحي الحياة الفكرية والأدبية والفنية، ومن بين أعلام الأدب الذين لمع نجمهم الأديب الألمعي الساخر ركن الدين بن محرز الوهراني الذي برز في فن الترسل والمقامات والمنامات التي اتخذها مطية للتعبير عن الواقع الاجتماعي وتعرية مظاهره السلبية.

أنشأ الوهراني المنامات وأصبح هذا اللون النثري السردي مرتبطا به، واستفاد في إرساء دعائمه من فن المقامات، و قصص الرحلة إلى العالم الآخر (كرسالة الغفران للمعري)، كما أنه أطّر مناماته بلمسة عجائبية، وخلع عليها أسلوبا متفردا في الكتابة مكنه من التجديد وتجاوز الأنماط النثرية السائدة في عصره.

1-مفهوم المنام:

فن نثري سردي طريف ابتدعه ابن محرز الوهراني، يتسم بأسلوبه المتفرد في السرد ومعالجة الموضوعات المختلفة، فالمنام خيال وأوهام، تنم عن حديث النفس، وهو "نص خارق أو عجائبي في الأصل وليس في الإبداع، ذلك أن الحلم بنية عجائبية في واقعها، ليست عجائبية مخترقة لأجل الإبداع"[1]

[1] محمد صالح، موضوعات السرد في منامات الوهراني (قراءة وصفية) إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، م9، ع5، 2020ص472

يدرج المنام ضمن أدب الرؤيا الذي تجري وقائعه في عالم الحلم، فهو رحلة متخيلة إلى العالم الآخر، عالم الغرابة، والخيال الحر، والانفلات من سلطة الواقع والمألوف.

2-ركن الدين الوهراني/ رائد فن المنامات

هو ركن الدين أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني(575هـ-1179م) اشتهر على حد وصف أصحاب السير بعبقريته اللغوية وبأثاره المكتوبة رحل إلى مصر على عهد السلطان صلاح الدين. سلك طريق الهزل وعمل المنامات والرسائل المشهورة والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بين أيدي الناس، وفيها دلالة على خفة ظله ورقة حاشيته وكوال ظرفه ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه[2]

عاصر بن محرز التحولات السياسية الكبرى في بلاد المغرب والأندلس مع الحركة الموحدية بقيادة عبد المؤمن بن علي، والذي امتدت رقعة سلطانه إلى كل البلاد المغربية والأندلسية، استقر ابن محرز في دمشق بعد أسفاره الطويلة شرقا، وغربا وتولى الخطابة في أحد مساجدها بداريا إلى أن توفيعام 575هـ، ودفن بتربة الشيخ أبي سليمان الدارني.

3-المنام الكبير

المنام الكبير رسالة كتبها ركن الدين الوهراني لصديقه الحافظ جمال الدين العليمي، ردا على رسالة كان قد عاتبه بها، فجاءت هذه الرسالة جوابا مطولا متضمنا مشهد يوم القيامة ووصف رحلة خيالية دارت أحداث في منام،" سار فيه على غرار أبي العلاء المعري في رسالة الغفران، فتصور نفسه ميتا، وبعث إلى يوم الحشر، والتقى هناك بالعلماء والفقهاء والشعراء، والملوك والأمراء والخلفاء والوزراء والمتصوفين وتحاور مع البعض منهم ووصف أحوال وأوضاع آخرين بأسلوبه الناقد والساخر، والغامض والغريب مع خفة الروح وطرافتها على عكس أسلوب المعري الذي يمتاز بالجدية والصراحة والميل إلى أفكار المتصوفين[3] فامتزج فيها الوعي واللاوعي والمعقول باللامعقول مما أكسبه بعدا فكريا وفنيا.

تبدأ أحداث قصة المنام الكبير بالحديث النفسي للخادم الذي استسلم للنوم:" ولقد فكر الخادم في ليلة وصول كتابه إليه في سوء رأيه فيه، وشدة حقده عليه، وبقي طول ليلته متعجبا من مطالبته له بالأوتار الهزيلة بعد الزمان الطويل، وامتنع عليه النوم لأجل هذا إلى هزيع من الليل.

---

[2] أحميدي بن شارف، من ملامح النهضة اللغوية والأدبية بالمغرب الأوسط في العهد الموحدي أدب المنامات لمحمد بن محرز الوهراني أنموذجا، مجلة الباحث، ع17، ص100

[3] ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1، 1995، ص190

ثم غلبته عينه بعد ذلك فرأى فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، وكأن المنادي ينادي هلموا إلى العرض على الله تعالى، فخرجت من قبري أيمم الداعي إلى أن بلغت أرض المحشر، وقد ألحمني العرق، وأخذ مني التعب والفرق، وأنا من الخوف على أسوأ حال، وقد أنساني جميع ما أعانيه من شدة الأهوال. فقلت في نفسي: هذا هو اليوم العبوس القمطرير، وأنا رجل ضعيف النفس خوار الطباع ولا صبر لي على معاينة هذه الدواهي، كنت أشتهي على الله الكريم في هذه الساعة (في هذا المكان) رغيفا عقيبا وزبدية طباهجة ناشفة وجبن سنارى ونعارة نبيذ صيدناني والحافظ العليمي ينادمني بأخبار خوارزم، وفخر الدين بن هلال يغني لي"[4]

والكاتب في هذا المقطع السردي يتجسد شخصية الخادم مذ لحظة قيامه من القبر ليوم العرض الأكبر، ثم يسير السرد بأسلوب سلس ليبرز المشاهد المتعاقبة على أرض المحشر: مشهد الراوي ومرافقه على جبل الأعراف، مشهده بين يدي خازن جهنم، وقد واجههما ببعض ما اقترفاه من فاحش الأعمال في الحياة البائدة. مشهد النماذج البشرية وتعاقبها في صور أفراد بعينهم كالمهذب بن النقاش، القاضي الشهرزوري، تاج الدين الشيرازي، الملك الصالح وأبيه نجم الدين..

ومن صور النقد اللاذع التي اشتمل عليها المنام الكبير قول الكاتب في المتصوفة "فلما انتهى إلى شاطئ المشرعة، وقف عندها. فتقدمت إليه الصوفية من كل مكان، وعلى أيديهم الأمشاط وأخلة الأسنان، وقدموها بين يديه، فقال صلى الله عليه: من هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء من أمتك، غلب العجز والكسل على طباعهم، فتركوا المعايش، وانقطعوا إلى المساجد، يأكلون وينامون فقال: فبماذا كانوا ينفعون الناس، ويعينون بني آدم، فقيل له: والله ولا بشيء البتة، ولا كانوا إلا كمثل شجر الخروج في البستان يشرب الماء، ويضيق المكان، فساق ولم يلتفت إليهم"[5]

ويعمد السارد إلى انتقاد ممارسي الطب عن جهل وعدم دراية، فيورد على لسان أبي المجد بن الحكم وهو أحد الأطباء المهرة كما يفهم من قصة المنامة:" هذا عزرائيل ملك الموت، وهو يعنى بالمهذب عناية عظيمة، وهو الذي شفع فيه وخلصه من العذاب المقيم فقلت لكم: من أين هذه المعرفة والمحبة بين المهذب وبين عزرائيل؟ فقال لي أبو المجد بن أبي الحكم: من جهة الطب، أما علمت أن المهذب كان من خيار أعوان ملك الموت في دار الدنيا: ما دخل قط إلى عليل إلا ونجزه في الحال، وأراح ملك الموت من التردد إليه وشم الروائح المنتنة، والنظر إلى شخصه المزعج، وخلصه من الانتظار الطويل، فهو يرعاه لأجل هذا، ويحبه من ذلك الزمان. وأما أنا فما أقدر (أوقع عيني في عينه) ولا يبصر لي رقعة وجه أبدا

---

[4] ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تح: إبراهيم شعلان ومحمد نعش، منشورات الجمل،1998، ط1، كولونيا، ألمانيا، ص23 24

[5] ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص48 49

لأني كنت أضاربه على العليل مضاربه حتى أخرجه من فكه، وأخلصه بعد اليأس فلا جرم أنه ما أمهلني أتمم الأرغن الذي ابتدأته، ولا تركني أتملى في الدنيا بأم أبي الحكيم ساعة من الزمان"[6]

ويتوجه إلى القضاة بسهام نقده فيورد في جهلهم بالفقه وتبجحهم بمظاهر الزيف الخادعة، مثلما يبرزه الحوار الذي دار بين أمير المؤمنين معاوية والفقيه عيسى ضياء الدين، فهو كما جاء على لسان أمير المؤمنين: " أبخل من ابن بنت الكلب لا يشبع بالخبز في بيته، ولا يأكل اللحم إلا في بيوت الناس، له أربعون سنة يقرأ لا يحفظ مسألة في الفقه ولا آية من كتاب الله فقال الفقيه عيسى: صدقت والله يا أمير المؤمنين، وأزيدك زيادة فقال: وماهي؟ فقال: الرقاعة والحماقة، ماله فيها نظير، يلبس العمامة الكبيرة المعروفة بأشقع طرز، ويركب بغلته الملقبة بقيسارية الفراء، ويمشي وبين يديه عشرة من الغلمان يتساقطون من الجوع، ويقول لهم: قال لي السلطان وقلت للسلطان لا يستطيع أن يبصره في المنام"[7]

وما نخلص إليه:

استطاع الوهراني ابتكار فن المنامات، وتضمينه كثيرا من قضايا عصره السياسية والأخلاقية والاجتماعية... والتعبير عن مواقفه منها بأسلوب ساخر لا يخلو من نقد لاذع مس كثيرا من الشخصيات والسلوكيات، وقد كان المنام الكبير مطية ناجعة اخترق من خلالها ركن الدين الوهراني مجتمعه، وكشف عن عيوبه وأمراضه. يساعده على هذا الحفر أسلوبه العجائبي الطريف وبراعته اللغوية والأدبية وسعة اطلاعه على ثقافة عصره وعلى مختلف علومها وآدابها.

[6] ركن الدين الوهراني، منامات الوهراني، ص40 41
[7] المصدر نفسه، ص 55

منامات الوهراني أنموذجا